الأدب وأنسنة السرد: الإنسان والمجتمع في النصوص الأدبية

عبد الهادي اباغانم
باحث في السيميائيات وتحليل الخطاب
الكلية متعددة التخصصات الرشيدية، جامعة مولاي إسماعيل
baghanem95@gmail.com
المملكة المغربية

الملخص:

يروم هذا المقال استكشاف دور الأدب وأنسنة السرد في فهم الإنسان والمجتمع، من منطلق أن النص الأدبي لا يكتفي بعكس الواقع الاجتماعي، بل يتجاوزه ليغدو فضاءً حيًا يكشف العوالم النفسية والثقافية للأفراد والجماعات. فمن خلال السرد والأحداث والرموز، يفضح الأدب التفاعلات المعقدة بين القوة والمقاومة، ويبرز التوتر القائم بين القيم الرسمية والهامشية، وبين الظاهر والمضمر، وبين الهيمنة والتحدي، بما يسمح بقراءة متعددة المستويات للواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي.

كما يسلط المقال الضوء على الدور الرمزي للنص في إعادة إنتاج المعاني والقيم، وفهم العلاقات الدقيقة بين الفرد والمجتمع، وبين الشخصيات وسياقاتها الاجتماعية، مع رصد نقاط القوة والخلل في البنى الإيديولوجية. وبهذا المعنى، تتحول القراءة إلى ممارسة نقدية تفاعلية يشارك فيها القارئ في إعادة بناء المعنى، وتحليل الرموز، واستكشاف الصراعات الخفية، ليغدو الأدب أداة معرفية تتيح فهم الإنسان بوصفه محور التجربة، والمجتمع كفضاء دينامي لتشكل القيم والعلاقات، وإنتاج رؤى جديدة تعمق الوعي الإنساني وتوسع أفق التفكير النقدي.

الكلمات المفتاحية: أنسنة السرد الأدبي، الإنسان والمجتمع في النصوص الأدبية، السيميائيات وتحليل الخطاب، الرمزية والتأويل السردي، القراءة النقدية للأدب

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract:

This article explores the role of literature and the humanization of narrative in understanding both the human being and society. It argues that the literary text transcends its function as a mere reflection of social reality to become a dynamic space for exploring the psychological and cultural dimensions of individuals and communities. Through narrative techniques, events, and symbols, literature reveals complex interactions between power and resistance, as well as tensions between official and marginal values, the visible and the implicit, and domination and challenge. Such elements enable a multi-layered reading of social, cultural, and political realities. The article also highlights the symbolic function of literary texts in producing meanings and values and in examining the relationship between the individual and society. This perspective transforms reading into an interactive critical practice, engaging the reader in reconstructing meaning and uncovering hidden conflicts, thereby expanding critical awareness and understanding of the human experience.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمة

يُنظر إلى الأدب في أغلب الأحيان على أنه مجرد مرآة تعكس الواقع الاجتماعي، غير أنه يتجاوز هذه الوظيفة ليصبح فضاءً حيًا يتيح فهم الإنسان والمجتمع من خلال السرد والأحداث والرموز، ويمنح القارئ القدرة على استكشاف العوالم النفسية والثقافية للأفراد والجماعات على حد سواء. فالأدب ليس مجرد نقل للأحداث أو تصوير للشخصيات بطريقة سطحية، بل هو ممارسة معرفية متكاملة تكشف عن تفاعلات القوة والمقاومة، عن القيم الاجتماعية والسياسية، وما يختزن المجتمع من تناقضات وتوترات خفية، وعن قدرة النص على فتح المجال أمام تأويلات متعددة يمكن أن تختلف بحسب الخلفيات الثقافية والاجتماعية للقارئ.

ومن هذا المنطلق، يمكن اعتبار السرد الأدبي أداة لإعادة أنسنة الإنسان، أي وضعه في مركز التجربة الإنسانية، مع دراسة تأثيره في المجتمع، وفهم الدور الرمزي للخطاب السردي في إعادة تشكيل المعاني والقيم. كما يسمح الأدب بفهم العلاقات الدقيقة بين الفرد والمجتمع، وبين الشخصية والسياق الاجتماعي، وكذلك بكشف نقاط القوة والضعف في الهياكل الإيديولوجية، وفي التوترات بين القيم الرسمية والهامشية، بين ما هو ظاهر وما هو مضمر في حياة الناس اليومية. إن الأدب بهذا المعنى لا يكتفي بوصف الواقع، بل يتفاعل معه، ويعيد إنتاجه من خلال الخطاب السردي الذي يمزج بين الواقعي والرمزي، بين الفعل والعاطفة، بين الحدث والدلالة. فمن خلال هذه العملية، يصبح النص الأدبي مساحة لتفكيك المعاني المهيمنة وتحليلها، ويتيح للقارئ ملاحظة الصراعات الخفية بين السلطة والمقاومة، بين الهيمنة والتحدي، وبين القيم المستقرة وما قد تتيحه التجربة الإنسانية من اعتراضات وبدائل. وعليه، فإن دراسة الأدب من منظور أنسنة السرد تعني فهم الإنسان بوصفه محور التجربة الأدبية، وكذلك "باعتباره (الإنسان) خاضعا لبنيات مجتمعية تحدد العلائق البشرية وعلائق الإنتاج والقيم..."[1] ثم إلى فهم المجتمع بوصفه فضاءً تتشكل فيه العلاقات والقيم، مع إدراك الدور الذي يلعبه الخطاب السردي في إعادة إنتاج المعنى وتشكيل وعي الفرد والمجتمع.

كما تصبح القراءة في هذا السياق تجربة نقدية تفاعلية، حيث يمكن للقارئ أن يشارك في توليد المعنى، ويعيد النظر في القيم والممارسات الاجتماعية، ويستكشف دور الرموز والأحداث في نقل الرسائل الثقافية والسياسية، وهو ما يجعل الأدب أداة معرفية حيوية تعكس عمق التجربة الإنسانية وتساهم في إدراك المجتمعات بطريقة متكاملة.

أولا: أنسنة السرد وتجسيد الإنسان

يتجلّى مفهوم أنسنة السرد في قدرة النصوص الأدبية على إبراز الإنسان كفاعل محوري، حيث لا تقتصر الشخصيات على أداء أدوار سردية محددة أو تمثيل وظائف تقنية ضمن الحكاية، بل تصبح مرآة حيّة للخبرات الإنسانية المتنوعة والمعقدة. هذه الخبرات تشمل مشاعر الفرح والحزن، والانكسارات والنجاحات، والصراعات الداخلية بين الرغبة والواجب، وبين القيم الفردية والاجتماعية، إضافة إلى التوترات الأخلاقية التي تواجه الإنسان في حياته اليومية. فالنص الأدبي لا يقدم الشخصيات ككيانات ثابتة أو نماذج جامدة، بل ككائنات حية متحركة، تمتلك تاريخها النفسي والثقافي والاجتماعي، وتخوض تجارب تتفاعل مع محيطها بشكل مستمر، مما يجعل القارئ يلمس عمق الشخصية ويشعر بتعقيداتها الإنسانية، ويصبح قادرًا على التفاعل والتعاطف معها على مستويات مختلفة.

فمن خلال اللغة والأسلوب السردي، يمكن للكاتب تفكيك الشخصية وإظهار طبقاتها المختلفة، سواء في الحوار الداخلي أو التوصيف الخارجي، أو من خلال الصراع بين الشخصيات والأحداث، حيث تتحول شخصية الرواية أو القصة إلى أداة لفهم

[1] محمد برادة، سياقات ثقافية، مواقف، مداخلات، مرافئ، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، المملكة المغربية، الطبعة الأولى 2003، ص 259، بتصرف.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

التجربة الإنسانية بشكل أعمق. فالأسلوب السردي لا يقتصر على نقل الوقائع، بل يعمل على بناء شبكة مكثفة من الدلالات الرمزية والنفسية والاجتماعية، التي تسمح للقارئ بالتفاعل مع النص على مستويات متعددة، والتأمل في دوافع الشخصيات، وفهم قراراتها، واستشعار لحظاتها الحاسمة، إضافة إلى إبراز الإنسان كعنصر أساسي ومحوري في العملية السردية، بوصفه "ذاتا فاعلة يعيش التجربة في تجلياتها المختلفة، الإيجابية والسلبية."[1] وهو ما يسهم في تقاطع الأبعاد الفردية مع الجماعية، والنفسية مع الثقافية والاجتماعية.

تعمل أنسنة السرد على تقريب القارئ من تجارب الشخصيات، كونها تتجه إلى تجاوز معرفته السطحية للأحداث، ليصبح مشاركًا نفسيًا وعاطفيًا في التجربة الإنسانية. فالتفاصيل الدقيقة سواء كانت وصفًا لحركة بسيطة، أو شعورًا لحظة معينة، أو فكرة عابرة تتبادر إلى ذهن الشخصية، تُظهر قدرة النص على توظيف الحدث والأحداث الثانوية لإبراز الإنسان وجعله محورًا للتأمل والتحليل، مما يعكس أبعاد الحياة الداخلية للفرد ويتيح للقارئ فهم التوترات بين الذات والمجتمع، وبين القيم الشخصية والموروثة. هذه القدرة على إظهار التناقضات الداخلية للفرد وتمثل الصراعات بين القيم الشخصية والضغوط المجتمعية، تجعل النص الأدبي تجربة حية وحقيقية، تعكس طبيعة الحياة الإنسانية بكل تعقيداتها.

وبهذا المعنى، يصبح السرد الأدبي وسيلة فعالة لإبراز الإنسان في مجمله وذاته، مع كل تعقيداته النفسية والاجتماعية، "ثم إن ما طرأ على منظومة العالم الجديد من تغيرات متسارعة وإخفاقات مختلفة، وتصدعات موجعة، طال الذات في تفاعلها مع كينونتها جميع نواحي الحياة، وسيرورتها المطلقة خاصة في جانبها الأدبي، والسردي والثقافي."[2] إن السرد يؤكد دور الأدب بوصفه فضاءً معرفيًا مركزيًا يتيح فهماً عميقًا للإنسان باعتباره كائنًا متكامل الأبعاد، لا ينفصل فيه النفسي عن الاجتماعي، ولا الذاتي عن الجماعي، إذ يتشكل وعيه من خلال تفاعله المستمر مع محيطه الثقافي والتاريخي والرمزي، ومن خلال مواجهته اليومية لتحديات الوجود ومفارقات الحياة وتعقيداتها.

فالسرد لا يكتفي بتمثيل الوقائع أو نقل التجارب، بل يعمل على إعادة تشكيلها دلاليًا، محولًا التجربة الإنسانية إلى مادة للتفكير والتأويل، حيث تصبح الشخصيات السردية تجسيدًا لأسئلة الإنسان الكبرى، مثل الهوية، والمعنى، والحرية، والاغتراب، والانتماء.

وفي هذا السياق، تبرز أنسنة السرد بوصفها آلية فنية ومعرفية تمنح النص الأدبي بعده الرمزي العميق، إذ يُعاد للإنسان حضوره المركزي داخل النص، لا كموضوع للحكي فقط، بل كذات فاعلة تحمل مشاعرها، وأفكارها، وقيمها، وتناقضاتها. كما يسمح هذا البعد الإنساني للنص الأدبي بفتح أفق للتفاعل النقدي، حيث يجد القارئ نفسه منخرطًا في حوار صامت مع النص، يعيد من خلاله مساءلة ذاته وواقعه، ويقارن بين تجربته الشخصية والتجارب السردية المعروضة. وبهذا المعنى، يغدو النص الأدبي فضاءً للتأمل وإعادة التفكير في القيم السائدة، ومجالًا لإنتاج معنى يتجاوز المباشر والآني، ليطال البنى العميقة للوعي الفردي والجماعي. ومن ثم، يتحول الأدب إلى مرآة حيّة للإنسانية، لا تعكس صورتها السطحية فحسب، بل تكشف عمقها الوجودي والرمزي، حيث تتقاطع القيم والمشاعر والأفكار داخل نسيج سردي متماسك، يؤدي إلى تشكّل صورة مؤثرة وشاملة للتجربة الإنسانية بكل توتراتها وتحولاتها وأسئلتها المفتوحة.

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة 257، بتصرف.

[2] عبد القادر فيدوح، تأويل المتخيل، السرد والأنساق الثقافية، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، الطبعة الأولى 2019، ص 75، بتصرف.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ثانيا: السرد كمرآة للمجتمع

إلى جانب التركيز على الفرد، يلعب السرد الأدبي دورًا محوريًا في فهم المجتمع ككل، حيث يتيح تصوير العلاقات المعقدة بين الأفراد والجماعات، ويسلط الضوء على أنماط السلطة والهياكل الاجتماعية القائمة، سواء كانت رسمية أو غير رسمية. فالنصوص الأدبية لا تكتفي بعرض الوقائع اليومية، بل تعمل على كشف التوترات التي تنشأ بين القيم المعلنة والممارسات اليومية، بين ما يُظهر المجتمع لنفسه وما يخفيه خلف واجهته الرمزية والثقافية، وبين الهياكل الرسمية وما يفرضه الواقع العملي من تعديلات أو تجاوزات. فمن خلال هذه الطبقات، يصبح النص مساحة لرصد مواقع القوة والضعف، سواء على مستوى الفرد أو الجماعة، ويتيح للمتلقي متابعة كيفية تشكل الصراعات الثقافية والاجتماعية والسياسية وتأثيرها على حياة الناس وتجاربهم.

إن السرد الأدبي هنا ليس مجرد نقل للأحداث أو تسجيل للوقائع، بل أداة تحليلية دقيقة لفهم ديناميات المجتمع، حيث يمكن دراسة توزيع السلطة والهيمنة، وفحص العلاقة بين المؤسسة والمجتمع، وبين القيم المعلنة والممارسات العملية، وبين التقاليد والابتكارات...، كما يكشف السرد عن التحديات التي تواجه الإنسان في محيطه الاجتماعي، سواء كانت هذه التحديات مرتبطة بالفقر، أو القمع السياسي، أو التوترات الثقافية، أو التباينات الطبقية.

فمن خلال هذه المقاربة، يصبح القارئ قادرًا على استيعاب العلاقة بين الفرد والمجتمع، ورصد نقاط التحول والصراعات الخفية التي تشكل نسيج الحياة الاجتماعية. فعلى سبيل المثال "فالسلطة كما عبر عنها هيدغر متضمنة القوة المفرطة تساهم في تصدير العنف بوسائط مختلفة، مما يجعل واقعنا المأزوم يعيش ثقافة متأثرة تطغى عليها أساليب السيطرة."[1] إنّ السلطة، كما تتبدّى في أفق هيدغر، لا تشتغل فقط باعتبارها تنظيماً للقوة، بل بوصفها منطقًا وجوديًا يُعيد تشكيل علاقة الإنسان بالعالم. ومن خلال السرد، تتحول السلطة إلى جهاز رمزي يُطبع الوعي ويُشرعن العنف عبر تمثلات لغوية وثقافية. وفي هذا السياق، يغدو الإنسان موضوعًا للهيمنة بقدر ما هو حامل لإمكان مقاومتها، إذ يتأرجح بين الخضوع وإنتاج المعنى. ويغدو السرد فضاءً حاسمًا لإعادة توزيع القوة، إمّا بتكريس أنماط السيطرة أو بتفكيكها. وفي هذا الأفق يتشكل الواقع المأزوم كنتيجة لتداخل السلطة والسرد في إعادة هندسة الوجود الإنساني.

كما يسمح السرد بفهم الكيفية التي يمكن للتجارب الفردية أن تعكس أبعادًا أوسع من البنية الاجتماعية، وكيف أن أفعال الشخصيات وردود أفعالها تكشف عن الأنماط الاجتماعية، وعن القيم السائدة والتحديات التي تواجه المجتمع. فالتفاصيل الصغيرة في الحوارات اليومية، أو المواقف الاجتماعية، أو الأحداث العابرة، كونها تحمل دلالات كبيرة تساعد على تحليل التركيب الاجتماعي وعلاقاته المتشابكة. ومن هذا المنظور، يصبح السرد الأدبي أداة فاعلة لفهم المجتمع، ليس باعتباره مجرد إطار خارجي للأحداث، بل كسياق حي متفاعل، يظهر فيه تأثير الفرد على المجتمع، وتأثير المجتمع على الفرد، مما يمنح القارئ القدرة على إدراك الديناميات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تتحكم في حياة الناس.

وبهذا المعنى، يتحول السرد من مجرد وسيلة لسرد الأحداث إلى مرآة متعددة الطبقات للمجتمع، إذ يغدو النص فضاءً دلاليًا رحبًا تتقاطع داخله التجارب الفردية مع البنى الجماعية التي تشكّل الوعي الاجتماعي وتؤطر أنماط التفكير والسلوك، وهو ما يؤدي إلى تشكل "خطاب نقيض لسلطة المركز، ومن ظهور سرديات بديلة خاصة بالخطاب أو الصوت المهمش، تعتمد أنساقا مغايرة في

[1] المرجع نفسه، الصفحة 74، بتصرف.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

السرد والتأويل."[1] فمن خلال تعدد الأصوات السردية تنكشف العلاقات المتشابكة بين الذات والآخر، وبين المركز والهامش، بما يعكس دينامية الصراع والتفاوض داخل النسيج الاجتماعي، كما يسمح السرد بتفكيك أنماط الهيمنة وإبراز آليات اشتغال السلطة داخل اليومي والمعيش، لا بوصفها بنية قهرية فقط، بل كخطاب يتغلغل في التفاصيل الدقيقة للحياة، وتتحول الشخصيات إلى علامات ثقافية تحمل آثار التاريخ والذاكرة والصراع، " وهو ما أفضى إلى إنتاج معرفة نسقية دقيقة بالخطاب السردي على درجة عالية من الوصف الموضوعي."[2] وذلك إسهاما في تجسيد تمثلات المجتمع عن ذاته وعن المختلف داخله، ليغدو الزمن السردي مجالًا لإعادة قراءة التحولات الاجتماعية والسياسية، حيث يتداخل الماضي بالحاضر وتُستشرف إمكانات المستقبل، كما يسهم السرد في كشف المسكوت عنه وتعرية البنى الرمزية التي تحكم إنتاج المعنى داخل الثقافة، وبذلك يتحول النص الأدبي إلى ممارسة نقدية تُعيد مساءلة القيم السائدة وتفكيك يقينياتها. وبهذا المعنى، يتحول السرد من مجرد وسيلة لسرد الأحداث إلى مرآة متعددة الطبقات للمجتمع، تجمع بين التحليل النقدي والتأمل الإنساني، وتتيح للمتلقي فهم المجتمع بوصفه بنية مركّبة تتقاطع فيها العلاقات الاجتماعية مع أنماط السلطة وآليات اشتغالها، بما تفرضه من قيود وما تفتحه من إمكانات وفرص.

فالنص الأدبي، عبر تمثيل الصراعات الرمزية، يكشف عن أشكال الهيمنة والمقاومة المتنوعة داخل النسيج الاجتماعي، إذ لا يقتصر دوره على مجرد سرد الأحداث، بل يتعمق في رسم العلاقات المعقدة بين القوى المختلفة، وتبيان آليات السيطرة والضغط، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي. فالشخصيات والأحداث والرموز تصبح أدوات تحليلية لفهم كيفية عمل السلطة، وكيف يمكن للمقاومة أن تتخذ أشكالًا صريحة أو ضمنية، ظاهرة أو مخفية بين ثنايا النص.

ومن خلال هذا التفكيك، تتضح التوترات المستمرة بين المركز والهامش، ليتضح "أن الأدب لا يشتغل فقط كجمالية لغوية أو متعة تخييلية، بل يتحول إلى مختبر رمزي يعيد إنتاج الصراعات الاجتماعية والثقافية داخل بنية دلالية مشحونة بالتوترات، حيث فكل عنصر داخل النص من اللغة، إلى الشخصيات، إلى الفضاء، إلى البناء السردي يمكن تحليله سيميائيا بوصفه تمظهرا لصراع ما، يعاش في الواقع الاجتماعي ويعاد تمثيله في الخطاب الأدبي."[3] ولعل هذا ما يخالف "ويؤرق السلطة وهو ما تخشاه وتزدريه."[4] يبرز الخطاب أو النص طبيعة الصراع بين القوى المهيمنة والمهمشين، وبين الفرد المؤطر ضمن بنى السلطة وبين المؤسسة التي تحكمه وتحدد خياراته، مما يعكس الواقع الاجتماعي بطريقة دقيقة ومتعددة الأبعاد.

كما يتيح النص للقارئ فهم التداخل بين البنى الرمزية والقيمية والسلوكية، وكيف تؤثر هذه التفاعلات على سير الأحداث وعلى تشكيل وعي الشخصيات والمجتمع ككل. وبالتالي، يصبح النص الأدبي فضاءً غنيًا لفهم التحولات التاريخية والرهانات القيمية، إذ يوضح كيف تتشكل الممارسات الاجتماعية والسياسية من خلال ديناميات القوة والمقاومة، وكيف يعاد إنتاج أو تحدي القيم المهيمنة، بما يجعل النص أكثر من مجرد سرد، بل مرآة حية للعمق الاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمع، وتوثيقًا للتفاعلات التي تشكّل مساراته وهويته.

---

[1] محمد بوعزة، سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، مقاربات فكرية، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، دار الأمان الرباط، الطبعة الأولى 2014، ص 51، بتصرف.

[2] المرجع نفسه، ص 32، بتصرف.

[3] عبد الهادي اباغانم، مع الهامش ضد المركز، مقاربات سيميائية تأويلية في بعض قضايا الأدب والمجتمع، أعمال المؤتمر السنوي، الهامش في الثقافة والمجتمع، الجزء 2، مؤسسة مقاربات للصناعات الثقافية والنشر، فاس، الطبعة 1، ص 121.

[4] سعيد بنكراد، مسالك المعنى، دراسات في الأنساق الثقافية، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، العدد 48، فبراير 2015، ص 61.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ثالثا: الرمزية والتأويل في أنسنة السرد

تلعب الرمزية والأساليب السردية دورًا محوريًا في أنسنة الإنسان وفهم المجتمع، حيث تتجاوز النصوص الأدبية وظيفة النقل السطحي للأحداث، لتصبح أدوات للكشف عن المعاني الخفية والرسائل العميقة التي يحتويها النص. فالرموز في الأدب لا تقتصر على كونها عناصر زخرفية أو جمالية تضفي جمالية شكلية على النص، بل تتحول إلى مشاهد، أو أوصاف دقيقة، أو أفعال بسيطة، أو حتى حوارات داخلية للشخصيات، جميعها تحمل دلالات دقيقة تتيح للمتلقي استكشاف الطبقات العميقة للواقع الاجتماعي والثقافي والنفسي. ثم إن هذه الرموز تشكل شبكة معقدة من الإشارات التي تتفاعل مع خلفية القارئ الثقافية والاجتماعية، وتفتح المجال لتأويلات متعددة، حيث يصبح كل عنصر من عناصر النص نافذة لفهم علاقات القوة والمقاومة، وللاطلاع على التوترات بين الفرد والمجتمع، بين القيم الرسمية وما يخفيه الواقع من اعتراضات أو بدائل محتملة.

ومن هنا، يتحول النص إلى فضاء معرفي متعدد الطبقات، يمكن من دراسة الصراعات الاجتماعية والرموز الثقافية بطريقة تعكس التعقيدات البنيوية للمجتمع.

كما تتيح الرمزية فهماً أعمق للعلاقات بين الشخصيات، وتكشف عن التفاعلات الاجتماعية والثقافية المخفية، سواء أكانت صامتة أم علنية، فردية أم جماعية، بما يشمل سلوكيات صغيرة، وإيماءات دقيقة، وحوارات تختزن معاني ضمنية، لا تظهر إلا من خلال قراءة متأنية للنص. ومن خلال هذه العملية التأويلية، يمكن للقارئ أن يتفاعل مع النص بشكل ديناميكي، حيث تتعدد القراءات، ولا يقتصر المعنى على مستوى ظاهر واحد، بل يتجاوز ذلك إلى مستويات أعمق تشمل التحليل النفسي والاجتماعي والسياسي والثقافي. كما أن الرمزية تسمح بفهم الكيفية التي تعكس شخصيات النص والصراعات الداخلية للفرد، وكذا عن الكيفية التي تتفاعل بها هذه الصراعات مع الظروف الاجتماعية والسياسية المحيطة بها. لتصبح الرمزية هنا أداة لفهم الكيف التي يمكن للسرد أن يعيد بها تشكيل المعاني والقيم، إضافة إلى إبراز مدى "جسامة مختلف القضايا والإشكالات التي يمليها عليه الواقع الثقافي الاجتماعي."[1] ويتيح استكشاف مواقع القوة داخل المجتمع، ورصد أشكال المقاومة، سواء كانت صريحة أو ضمنية، بما يجعل النص الأدبي فضاءً حيويًا للتفكير النقدي والتأمل الإنساني.

وعلاوة على ذلك، تعمل الأساليب السردية جنبًا إلى جنب مع الرموز على تعزيز هذه القدرة التأويلية، عبر استخدام اللغة والصور، وزمن السرد، والحوارات الداخلية، وتقنيات السرد غير الخطية أحيانًا، لتوسيع مجال القراءة وتعدد المعاني.

فاختيار السرد من منظور شخصية معينة، أو اعتماد تقنيات السرد المتعددة الأصوات، يتيح للقارئ استكشاف تعددية الخبرات والتجارب، ويعكس التعقيدات الاجتماعية والنفسية للأفراد في مجتمعهم. كما أن استخدام الزمن السردي المرن، أو التقديم والتأخير للأحداث، يسمح بتأمل العلاقات السببية والتفاعلية بين الأحداث والشخصيات، ويعزز قدرة النص على نقل تجارب الحياة بشكل أقرب إلى الواقع النفسي والاجتماعي للإنسان. ولعل كل هذه الأساليب تجعل القراءة تجربة نشطة، حيث يشارك المتلقي في بناء المعنى، ويتفاعل مع النص وفق منظوراته وخلفيته الثقافية والاجتماعية، مما يعكس التنوع المعرفي والوجداني للقراء.

وإضافة إلى ذلك، تتيح الأساليب السردية التأمل في مستويات مختلفة من الإدراك والمعرفة، فمثلاً يمكن للقارئ أن يلاحظ تأثير السياق التاريخي والاجتماعي على قرارات الشخصيات وسلوكياتها، أو يدرس الرموز والدلالات الثقافية التي تشكل نسيج المجتمع، أو يتابع التوترات بين الفرد والجماعة، بين الحرية والقيود، وبين القيم الرسمية والقيم المستترة في التجربة اليومية.

[1] سعيد يقطين، الأدب والمؤسسة، نحو ممارسة أدبية جديدة، منشورات الزمن، الطبعة الأولى 2000، ص 33.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ومن هذا المنطلق، يصبح النص الأدبي وسيلة لفهم أنماط الحياة الإنسانية المتعددة، وأشكال السلطة والمقاومة، والطرق التي يعيد بها الأفراد إنتاج المعنى أو التمرد عليه، بما يتيح رؤية شاملة للتفاعلات الإنسانية في بعديها الفردي والجماعي. وذلك في سياق "بناء تصورنا الثقافي وتحديد سماته الأولية وتجسيد مواقفنا من أهم الإشكالات التي يفرضها علينا الواقع الثقافي الذي نتحرك فيه."[1] وبهذا، يتحقق السرد الأدبي كأداة لفهم الإنسان بصفته كائنًا حيًا متفاعلًا مع بيئته، حيث تصبح الرموز والأساليب السردية وسائل لاستكشاف العمق الاجتماعي والنفسي، واستحضار البعد الرمزي في قراءة النصوص، بما يعكس التفاعلات المعقدة بين الفرد والمجتمع، بين السلطة والمقاومة، وبين المعلن والمضمر.

إن السرد يتيح فهماً عميقًا للتاريخ الرمزي للثقافة والمجتمع، حيث يتجاوز الأحداث السطحية ليكشف عن البنى الرمزية التي تشكّل وعي الأفراد وهويتهم. فهو يسمح للمتلقي بمتابعة تطور العادات والتقاليد، واستشراف كيفية انعكاسها على السلوك الفردي والجماعي، وكيفية تراكم الخبرات الاجتماعية عبر الزمن. كما يبرز السرد الأحداث اليومية العادية، تلك التي قد تبدو غير ذات أهمية، ولكنه من خلالها يستطيع القارئ إدراك المعاني الخفية للتفاعلات الاجتماعية والثقافية، وفهم الأساليب التي يكتسب بها المجتمع وعيه بالقيم والمعايير. ومن خلال استحضار هذه التحولات، يتيح النص التعرف على تغيّر المواقف والقيم المجتمعية عبر الزمن، وعلى صراع الأجيال بين الموروث والقيم الحديثة، بين التقليد والتجديد، وبين ما هو معلَن وما هو مستتر في الحياة اليومية.

وهكذا يتحول النص إلى فضاء معرفي متكامل، يجمع بين السرد والتحليل، ويعكس التعددية الدلالية للتجربة الإنسانية، حيث تتقاطع المشاعر مع الأفكار والقيم، لتشكل صورة متكاملة للوعي الجمعي والفردي. ويتيح هذا الفضاء للمتلقي التأمل في الصراعات الداخلية والخارجية للشخصيات، وفي العلاقات بين الفرد والمجتمع، وبين الذات والآخر، بما يسهم في تكوين فهم نقدي للتجربة الإنسانية. كما يعزز السرد القدرة على استكشاف مواقع القوة والمقاومة داخل المجتمع، والتعرف على آليات السيطرة والتمرد، وكيفية إعادة إنتاج المعنى أو تحديه. وبذلك، يُعاد الإنسان إلى مركز الاهتمام، ويصبح النص أداة حيوية لفهم الذات والمجتمع، ولتحليل العلاقة بين الفرد وبيئته الاجتماعية، وبين القيم السائدة وما يمكن أن تقدمه التجربة الإنسانية من رؤى بديلة، وبين القوة والمقاومة التي تتحرك في سياق الحياة الاجتماعية.

رابعا: أنسنة السرد وإنتاج المعنى

إن من أحد أهم أبعاد أنسنة السرد يكمن في دوره الحيوي في إنتاج المعنى وإعادة ترتيب القيم داخل الفضاء الأدبي. فالنص الأدبي لا يكتفي بسرد الأحداث أو تقديم الشخصيات بشكل سطحي، بل يتحول إلى أداة معرفية متكاملة تمكّن القارئ من المشاركة الفعّالة في عملية فهم الإنسان والمجتمع، وذلك عبر التفكير النقدي والتحليل العميق لتفاصيل النص الدقيقة. فالانغماس في الحوارات بين الشخصيات، ومتابعة السرد الداخلي الذي يعكس خبايا النفس، والتأمل في الوصف التفصيلي للأماكن والمواقف، يمنح القارئ القدرة على استكشاف الصراعات الخفية في المجتمع وفهم التوتر بين القيم الرسمية وما يمكن أن يظهر من مقاومة أو اعتراض ضمني، سواء في الأفعال اليومية أو في الانفعالات الخفية للشخصيات. ومن هنا، يصبح النص وسيلة لفهم الاختلافات بين الفرد والآخر، بين الهامش والمركز، وبين ما هو ظاهر وما هو مستتر، ويتيح إدراك الطرق التي تتشكل بها القيم والمعايير، وكيف تتفاعل مع الضغوط الاجتماعية والسياسية المحيطة.

فالنصوص الأدبية تمنح القارئ القدرة على إعادة إنتاج المعنى، ليس فقط من خلال فهم الأحداث الظاهرية، بل عبر قراءة الرموز والإشارات الخفية التي تتخلل السرد، مثل الإشارات الرمزية في الألوان أو الطبيعة أو الأشياء اليومية، والتي تحمل دلالات

[1] المرجع نفسه، الصفحة 45.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

نفسية وثقافية وسياسية دقيقة. هذه الرموز تتيح للمتلقي فتح فضاءات متعددة للقراءة والتأويل، وهو ما يؤكد أن "حياة النص قرينة بحياة التأويل، وهو ما يساعد في فهم أعمق وتفكيك ممنهج لإعادة إنتاج المعنى."[1] وهو ما يمكن كذلك من استكشاف العلاقات المعقدة بين الشخصيات، وفهم الصراعات بين القوى المهيمنة والمهمشين، ورصد التوترات بين الفرد والمجتمع، وبين القيم الرسمية وما يخفيه الواقع من اعتراضات أو بدائل محتملة. ومن خلال هذا الفهم الرمزي، يصبح القارئ مشاركًا في إنتاج المعنى، ويكتسب القدرة على النظر إلى النص من زوايا مختلفة، مما يتيح له استكشاف طبقات متعددة للوعي الإنساني والاجتماعي والثقافي.

كما تلعب الأساليب السردية دورًا محوريًا في تعزيز هذه القدرة التأويلية، إذ يسهم اختيار منظور السرد، وتقنيات المونولوج الداخلي، والزمن السردي المرن، وتقنيات السرد متعددة الأصوات، في توسيع آفاق الفهم. ليتم من خلال ذلك نقل الأحداث من منظور متعدد يتيح للقارئ استكشاف وجهات نظر مختلفة، ويكشف التعقيدات الإنسانية والاجتماعية والثقافية، كما يعكس الديناميات الداخلية للشخصيات وتأثرها بالبيئة المحيطة. كما أن استخدام الزمن السردي غير الخطي، أو التقديم والتأخير للأحداث، يسمح بفهم الروابط السببية بين الأحداث والتفاعلات المعقدة بين الشخصيات والمجتمع، ويتيح للمتلقي تتبع تطور الصراعات الداخلية والخارجية، وفهم التوترات بين الحرية والقيود، وبين الفرد والجماعة، وبين الالتزام بالقيم التقليدية والسعي نحو التجديد.

ومن خلال هذا الانخراط العميق مع النص، يصبح القارئ قادرًا على إعادة تشكيل المفاهيم والقيم، ومساءلة الثوابت الثقافية والاجتماعية، واستكشاف البدائل الممكنة للتجربة الإنسانية. فالنص الأدبي لا يقدم العالم جاهزًا، بل يتيح مساحة للتفكير النقدي، والتحليل الاجتماعي، وفهم أبعاد الهوية والانتماء، والتغيرات التي تطرأ على الممارسات والقيم الثقافية. كما يتيح النص دراسة العلاقة بين الفرد والسلطة، بين القوة والمقاومة، وبين المعلن والمضمر، وفهم كيف يعاد إنتاج المعنى باستمرار من خلال الصراعات اليومية والمواقف الحياتية، مما يجعل القراءة ممارسة نشطة وتفاعلية، لا مجرد استقبال سلبي للأحداث. "فالقارئ الحقيقي حر في التأويل، ما دام لا ينفك عن السياق الأدبي، والاجتماعي، والثقافي، والإنساني على وجه العموم."[2] ثم إن النصوص الأدبية تتيح للقارئ التفكير في التفاعلات الدقيقة بين الإنسان ومحيطه الثقافي والاجتماعي، ورصد انعكاسات القيم على السلوك الفردي والجماعي، ودراسة الصراعات الداخلية والخارجية للشخصيات، وفهم دور السياق التاريخي والاجتماعي في تشكيل وعي الأفراد والمجتمع. كما أن الجمع بين الرمزية والأساليب السردية يمكّن من قراءة النصوص على مستويات متعددة، حيث تشمل القراءة البعد النفسي، والاجتماعي، والثقافي، والسياسي، لتشكل بذلك تجربة معرفية شاملة تتيح للقارئ إعادة إنتاج الرمزية والمعنى بطريقة نقدية وإبداعية.

وبهذا المعنى، يصبح السرد الأدبي ليس مجرد أداة لنقل الأحداث، بل ممارسة معرفية حيّة، تتيح للمتلقي الانغماس في النص بطريقة تتجاوز القراءة السطحية، ليصبح تحليل الشخصيات وفهم دوافعها والتفاعلات المعقدة بينها أداة لفهم الصراعات النفسية والاجتماعية التي تشكل التجربة الإنسانية، كما يوفر السرد القدرة على تفكيك العلاقات بين الفرد والمجتمع، بين القوى المهيمنة وطبقة المهمشين، وبين القيم الرسمية وما يطرحه الواقع من مقاومة أو بدائل ضمنية، ليصبح بذلك كل حدث ورمز وتفصيل في النص وسيلة لفهم مستويات متعددة للمعنى، حيث تحمل الرمزية في المكان والزمان والأفعال دلالات دقيقة تكشف الطبقات الخفية للواقع الاجتماعي والثقافي، ويتيح السرد من خلال الأساليب المختلفة، بما في ذلك المونولوج الداخلي والسرد متعدد

---

[1] أحمد فرشوخ، تأويل النص الروائي، السرد بين الثقافة والنسق، الدار العالمية للكتاب، الطبعة الأولى 2006، ص 25، بتصرف.

[2] بيار ف، زيما، النص والمجتمع، آفاق علم اجتماع النقد، ترجمة أنطوان أبو زيد، مركز دراسات الوحدة العربية، كتابك للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2013، ص 129، بتصرف.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الأصوات والزمن المرن، وكذلك مراقبة الأحداث والعلاقات من زوايا متعددة، بما يعكس التعقيد النفسي والاجتماعي للإنسان ويكشف التوتر بين الحرية والقيود، بين الفرد والهياكل الاجتماعية، وبين الالتزام بالقيم التقليدية، ثم إن كل هذا وذاك يمنح القارئ القدرة على إعادة تشكيل المفاهيم والقيم، وتحليل الصراعات الداخلية والخارجية، واستكشاف الطرق التي يمكن بها إعادة إنتاج المعنى وإعادة تفسير التجربة الإنسانية، كما يتيح التفاعل المستمر مع النص ممارسة نقدية حية مفتوحة على تعدد التأويلات، وذلك باعتبار "التأويل فعل مساعد في إزاحة الذات الإنسانية من منغلقها المركزي والرمزي."[1] ثم إن العلاقة بين الرمزية والسرد والتحليل تتضح، ويصبح القارئ مشاركًا في إنتاج المعنى، وقادرًا على التفكير النقدي والإبداعي، ومساءلة الثوابت والقيم المجتمعية، واستشراف بدائل ممكنة للمعنى الاجتماعي والثقافي، بما يجعل النص الأدبي مساحة لتأمل واعٍ في العلاقات الإنسانية والاجتماعية والثقافية، ويكشف الديناميات الرمزية والاجتماعية التي تتحكم في سلوك الأفراد والجماعات، ويحول القراءة إلى ممارسة معرفية تفاعلية، تجمع بين العمق السردي والتحليل النقدي وإعادة إنتاج الرمزية والمعنى بطريقة تعزز فهم الإنسان والمجتمع، وتتيح استكشاف العلاقات المعقدة بين الفرد والآخر وبين الفرد والهياكل الرمزية والاجتماعية، مما يؤكد دور الأدب في بناء وعي معرفي وثقافي متجدد.

[1] عبد الله بريمي، السيرورة التأويلية في هيرمينوسيا هانز جورج غادامير وبول ريكور، دائرة الثقافة والإعلام الشارقة، الطبعة الأولى 2010، ص 8، بتصرف.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

خاتمة

يمكن القول إن الأدب وأنسنة السرد يشكّلان فضاءً معرفيًا حيًا، يضع الإنسان في صميم التجربة الأدبية، ويتيح فهم المجتمع بكل تنوعه وتعقيداته. فالنص الأدبي، من خلال الشخصيات والأحداث والرموز والأساليب السردية الداخلية، يخلق توازنًا دقيقًا بين الفرد والمجتمع، ويكشف عن التوترات الدقيقة بين القوة والمقاومة، بين الظاهر والمضمر، وبين المعلن والهامش. كما يمنح القارئ القدرة على استكشاف طبقات متعددة من المعنى تتجاوز القراءة السطحية للنص، إذ يتيح متابعة التفاصيل الصغيرة في الأحداث، والتحولات النفسية للشخصيات، والتفاعلات الاجتماعية التي تعكس الصراعات الرمزية بين الأفراد والجماعات. ومن خلال هذا التفاعل المستمر بين الإنسان والنص والمجتمع، يتحول الأدب إلى ممارسة نقدية حيّة، تسمح للقراء بالمشاركة الفاعلة في إعادة تشكيل المعنى وتحليل القيم، وفهم الصراعات الداخلية والخارجية التي تشكل العلاقات بين الأفراد والجماعات، وبين القيم الشخصية والهياكل الاجتماعية، وبين الممارسات اليومية وما تحمله من دلالات رمزية.

فالنص الأدبي يُظهر كيف يمكن للرمزية والتفاصيل الدقيقة أن تصبح أدوات لفهم الجوانب الخفية من التجربة الإنسانية. فالرموز، سواء كانت مرتبطة بالأماكن، أو الأحداث، أو التصرفات الصغيرة للشخصيات، تكشف عن الصراعات الداخلية التي يواجهها الإنسان، وعن التحديات التي تفرضها البنى الاجتماعية والإيديولوجية. ومن هذا المنطلق، يصبح القارئ قادرًا على قراءة النص على مستويات متعددة، واستخلاص معانٍ تتعلق بالسلطة والمقاومة، بالفرد والجماعة، وبما هو معلَن وما هو مستتر. إن هذه القدرة على إبراز الإنسان في علاقته بالمجتمع تجعل النص منصة للتأمل النقدي وإعادة ترتيب القيم وإنتاج رؤى معرفية جديدة، مما يمنح القارئ مساحة واسعة للتفاعل الواعي مع النص، واستكشاف طرق فهم العلاقات الاجتماعية والرمزية التي تحدد الخبرة الإنسانية.

وفي هذا السياق، تتضح أهمية أنسنة السرد كعنصر أساسي يجعل الإنسان محور النص، ويتيح استيعاب التجربة الإنسانية بكامل أبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية. فالأدب، بهذا المعنى، لا يكتفي بعكس الواقع، بل يصبح فضاءً للنقد والتأمل، وحوارًا مستمرًا بين النص والقارئ والمجتمع، حيث يمكن استكشاف إمكانيات التغيير وفهم التفاعلات الرمزية التي تشكل الخبرة الإنسانية.

ومن خلال الجمع بين العمق السردي والرمزية والتأويل، يتحول الأدب إلى أداة معرفية فاعلة، تمنح القارئ القدرة على قراءة الواقع بطريقة متسعة، وفهم الإنسان في صميم تجربته، وإدراك دور المجتمع في تشكيل هذه التجربة. وهكذا، يصبح السرد الأدبي أداة مركزية لفهم الإنسان والمجتمع بعمق ووعي، ويؤكد دوره في تحليل الديناميات الاجتماعية والثقافية والنفسية، واستشراف العلاقات بين الفرد والآخر، وبين الفرد والهياكل الرمزية التي تشكل وعيه وهويته.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المصادر والمراجع

- محمد برادة، سياقات ثقافية، مواقف، مداخلات، مرافئ، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، المملكة المغربية، الطبعة الأولى 2003.
- عبد القادر فيدوح، تأويل المتخيل، السرد والأنساق الثقافية، صفحات للدراسات والنشر، سوريا، الطبعة الأولى 2019.
- محمد بوعزة، سرديات ثقافية، من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، مقاربات فكرية، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، دار الأمان الرباط، الطبعة الأولى 2014.
- عبد الهادي اباغانم، مع الهامش ضد المركز، مقاربات سيميائية تأويلية في بعض قضايا الأدب والمجتمع، أعمال المؤتمر السنوي، الهامش في الثقافة والمجتمع، الجزء 2، مؤسسة مقاربات للصناعات الثقافية والنشر، فاس، الطبعة الأولى 2025.
- سعيد بنكراد، مسالك المعنى، دراسات في الأنساق الثقافية، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، العدد 48، فبراير 2015.
- سعيد يقطين، الأدب والمؤسسة، نحو ممارسة أدبية جديدة، منشورات الزمن، الطبعة الأولى 2000.
- أحمد فرشوخ، تأويل النص الروائي، السرد بين الثقافة والنسق، الدار العالمية للكتاب، الطبعة الأولى 2006.
- بيار ف، زيما، النص والمجتمع، آفاق علم اجتماع النقد، ترجمة أنطوان أبو زيد، مركز دراسات الوحدة العربية، كتابك للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2013.
- عبد الله بريمي، السيرورة التأويلية في هيرمينوسيا هانز جورج غادامير وبول ريكور، دائرة الثقافة والإعلام الشارقة، الطبعة الأولى 2010.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/